الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعلـــــيم العـــــالي
والبحث العلمـــــي
جامعـــــــة أكلي محـــــــند
جامعة البويرة

Ministère De L'enseignement
Supérieur
Et De La Recherche Scientifique

العنوان:

نظرية التناص عند الغرب
"باختين، كريستيفا، بارط، قريماس"

مذكرة مقدمـــة لنيل شهادة الليسانس LMD فى اللّغة والأدب العربى

إعداد الطالبتين

* جمعة العلجة.
* أعراب آمال

إشراف الأستاذ (ة):

د. دحامنية مليكة

السنة الجامعية: 2013/2012

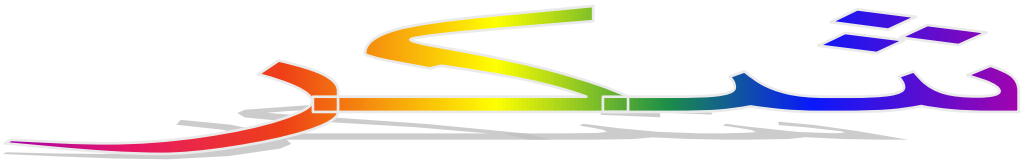

مصداقا لقوله تعالى:<<فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون>>.

(سورة البقرة الآية152).

أوّل ما نبدأ به هو شكر الله عزّوجل على فيض نعمه وعلى هدايته لنا إلى العلم والمعرفة.

نتقدّم بأخلص عبارات الشّكر والثّناء إلى الأستاذة الفاضلة <<مليكة دحامنية>>التى أفادتنا بتوجيهاتها وإرشاداتها القيّمة.

كما نتوجّه بالشّكر والتّقدير إلى الأساتذة الأفاضل الذين ساندونا طوال مسارنا الدّراسي.

إلى كلّ صديقاتي قسم اللّغة والأدب العربي، تخصّص نقد معاصر.

إلى كلّ من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

جزاهم اللّه عنّا كلّ خير.

إلى أغلى اثنين في الوجود.

إلى من أمر اللّه سبحانه وتعالى بطاعتهما بعد طاعته، وقرن رضاهما برضاه، وقال فيهما: <<**وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحسانا**>>.

إلى أمّي وأبي أحبّ النّاس إلى قلبي.

إلى مصدر قوّتي وافتخاري، إخوتي الأعزّاء: عمر، علي، محفوظ، محمّد أمين، رابح، وخاصّة إلى أخي سمير الذي لم يتفانى في مساعدتي، وتقديم الدّعم الكبير دون كلل أو ملل.

إلى كتاكيت البيت: كريم، صالح، عبد الله، صبرينة، وسناء.

إلى من رافقتني في إنجاز هذا العمل، الصّديقة "أعراب آمال".

العلجة.

إهداء

الحمد لله والصلاة على رسول الله ـــ ص ـــــ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من جاء ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى:<< وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا>>.

أمّي الغالية وأبي العزيز؛

إلى كل من وقف بجانبي في السراء والضراء، إخوتي: خليل، عادل، فهيم؛

إلى أختي: نعيمة؛

إلى رفيقتي في هذه المذكرة "العلجة"؛

إلى صديقاتي: حميدة، نور الهدى، خديجة؛

إلى الكل أهدي هذا العمل المتواضع.

آمال

مقـــــــــدمة

مقدمة

عرف النّقد الغربي في فترة الستّينات دخول مصطلح جديد إلى رحاب المصطلحات المولدة وغير المألوفة التي يحفل بها النّقد الجديد، ونعني بذلك مصطلح "التّناص" (INTERTEXTUALITE) والذي عرّفه الخطاب النّقدي العربي لاحقا بالتّناص هو بمثابة المفتاح لقراءة النّص وفهمه، وتحليله، وإعادة تركيبه من جديد. فالعمل الأدبي ليس نتاجا تلقائيّا بل هو عمل يستند إلى قراءات متعدّدة تنتشر في ثنايا النّص لتتجسّد بعد ذلك في صياغة أبنية، وتقنيات معيّنة، وهكذا فالنّص الأدبي هو عملية امتصاص، وتحويل الوفرة من النّصوص الأخرى لأنّنا حينما نتأمّل النّصوص الإبداعية نلمح نصوصا كثيرة غائبة ، ولا يكون تمظهر النّصوص الغائبة بارزا دائما، فقد يكون خفيفا أو غائما، فذاكرة المبدع شبكة مفتوحة لاحتضان كلّ شيء، ولذلك تأتي نصوصه وكأنّها نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء على حد تعبير "بارت".[1]

وبما أنّ عملية الإبداع لا تخلو من ظاهرة التّناص، فإنّ هذا الأخير ليس سوى ترسيخ للماضي في الحاضر، ونقل من القديم إلى الجديد، مما يجعل المبدع يعيش مع فكرة ما من نصّ كان قد قرأه قبلا فيندمج في النّص الجديد، ويقبل عليه فينشأ عن ذلك وعي بوحدة الثّقافة، وامتدادها في الزّمن ماضيا وحاضرا، فهو يحمل معان عدّة ولا سبيل للإلمام، فحتّى وإن استطعنا الإمساك بالّتناص في أيّ نصّ أدبي، فإنّ هذا الأخير يظلّ متعدّد الدلّالات، ومفتوحا على قراءات عدّة. [2]، ولعلّ أوّل ما يواجه

---

[1] .محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(استراتجية التناص)، ص 130.

[2] .أدونيس، سياسة الشعر، دار الأدب، ط 2، 1996، ص7.

مقدمة

الباحث هو صعوبة اختيار موضوع بحثه، وتكمن صعوبة الأمور في بداياتها، ولكن إذا كان موضوع البحث يستحق العناء فلا بأس في ذلك.

ولعلّ القارئ يتساءل لماذا وقع اختيارنا على هذا الموضوع، فنقول أنّ السّبب هو الرّغبة الشّديدة في المعرفة. فالتّأصيل للمصطلح يأخذنا إلى طرح عدة تساؤلات، ما هي البدايات الأولى للتّناص؟ وما هو مفهومه؟ وما هي أنواعه؟ وهل هو من قبيل التأثّر القائم على شبكة العلاقات الاجتماعية التي تجعل الأديب يقرأ أديبا آخر، وقد تناول قضيّة اجتماعية فعالجها أدبيّا، ليعالج هو أيضا قضية مثيلة لها في كتابه؟ أم هو نصّ منبثق من مجموعة من النّصوص غير المعروفة التي تفقد كلّ علاقة بمجتمعاتها التي كتبت فيها؟.

هذا ما نحاول الإجابة عنه في متن بحثنا، أمّا عن كيفية معالجتنا إيّاه فقد قسّمنا البحث إلى فصلين، حيث تناولنا في الفصل الأوّل الجانب النّظري الذي يحتوي على ثلاثة عناصر تتمثّل في: نشأة التّناص، مفهوم التّناص، أنواع التّناص، أمّا الفصل الثّاني عنونّاه بالتّناص عند النّقاد الغربيين حاولنا فيه الإحاطة بكل ما جاء به هؤلاء النّقاد (باختين، كريستسفا، بارت، قريماس) وختمناه بخاتمة حصرنا فيها أهمّ النّقاط التي وردت في بحثنا المتواضع. أمّا فيما يخص المراجع والمصادر التي تخصّ التّناص فهي كثيرة، ونرجو في النّهاية أن يكون بحثنا في مستوى التطلّعات المنتظرة منّا.

الفـــصل الأوّل

التّنـاص: تحديد المفاهيم

النّشأة.

المفـهوم.

الأنواع.

الفصل الأول: تحديد المفاهيم

1ــ نشأة التّناص (نبذة تاريخية):

إذا تتّبعنا مسيرة الحركة النقدية الغربية يتبين لنا أنّ كلّ نظرية نقدية كانت تمهّد لأختها دون أن تلغيها حتّى وإن اختلفا في الاّتجاه في كثير من الأحيان، بل إّننا نجد الكثير من النّظريات ولدت في أحضان نظرية سابقة لها، مثل التّشريحية التي ولدت في أحضان البنيوية، أمّا نظرية التّناص التي تعتبر نظرية من نظريات ما بعد الحداثة فقد ولدت في أحضان السّيميائية والبنيوية ابتداء بالشّكلانية وانتهاء بالتّشريحية، والتي قدّمت إسهامات كبرى في صياغة جملة من مبادئ نظرية التّناص وإن كانت هذه الأخيرة مدينة في الكثير من ملامحها لغيرها من النّظريات القديمة، هذا ما يراه الدكتور "حسين جمعة" في دراسة له في (نقد النّقد للأدب والتّناص) كما قال: بأنّ شرارتها الأولى انطلقت من الشّكلانيين الرّوس كما في كتابات (شلوفسكي)، ومن ثمّ (باختين) الذي اتّجه نحو النّص ثمّ تسلّمتها (جوليا كريستيفا)، التّي استخدمت للمرّة الأولى مصطلح التّناص في كتاباتها، وكانت تهتم بالإنتاج وتهمل التّلقي والقارئ، كما أشار بعدها إلى أنّ مصطلح التّناص كان في بداياته الأولى يتّسم بعدم القصدية والمباشرة، فالنّصوص تتقاطع فيما بينها، وتتلاقى بشكل عفوي، وغير مقصود أي من غير وعي. هذا ما يراه أغلب أصحاب نظرية التّناص من بعد، وإن كان هناك منهم من لم يمنع فيه القصدية والوعي. [1]

[1]ــ انظر حسين جمعة،المسار في النقد الأدبي (دراسة في نقد النّقد للأدب القديم والتّناص)، ص 134ــ135.

إذن فقد ظهر مصطلح التّناص على يدي (جوليا كريستيفا) التي استثمرت الأفكار الأولى التي كانت تكتب عن السّرقة الأدبية، وأفادت خصوصا من "باختين"، فاجتعلتها

هي (INTERTEXTUALITE) أو إنتاجية النّص (PRODUCTIVITE TEXTUELLE) أو الإنتاجية المسمّاة نصّا

(PRODUCTIVITE DITE TEXTE) على الأصح من وجهة، ومنطقت نظريتها بتغذيتها بالرّياضيات من وجهة أخرى. فهي أوّل كاتبة باللّغة الفرنسية بلورت هذا المفهوم فشاع عن طريق كتابها الآنف الذّكر، وضاع حقّ ميخائيل باختين الذي عرفت جهوده تحت مجموعة من المصطلحات التي تؤسّس للّتناص بصورة غير مباشرة مثل:البنى الحوارية للنّص (LES STRUCTURES DIALOGIQUES) وكرنفالية النّص (La CARNAVALISQUE) وتعددية أصوات اللّغة (POLYPHORIQUE DES LANGAGE) [1].

والحقيقة أنّه حين تتبّعنا ما كتب عن اللّتناص في الكتابات النّقدية الفرنسية المعاصرة تبيّن لنا أنّ (جوليا كريستيفا) هي أسبقهم حقّا إلى معالجة هذا الموضوع من سائر أقطاره، فكلّ الذين كتبوا بعدها عن التّناص هم عالة عليها، وكتاباتهم ليست إلاّ امتدادا لكتاباتها انطلاقا من (رولان بارط)، إلى (قريماس) وغيرهم [2].

---

[1]ــ انظر:عبد الملك مرتاض، نظرية النّص الأبي ص276. دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر .

[2]ــ المرجع نفسه، ص277.

ويؤكّد (باختين) أنّ كلّ خطاب أدبي ليس سوى تكرارا لخطاب آخر، وأنّ القراءة في حدّ ذاتها تشكّل خطابا، ذلك أنّ الكتابة تعني ثلاثة عناصر هي: النّص، الكاتب والقارئ بالإضافة إلى عنصر آخر هو التّناص، وهذا الأخير يرتبط بالعناصر السّابقة، فهو يوجد في النّص، والكاتب هو الممارس الفعلي لهذا التّناص، سواء عن وعي أو غير وعي، والقراءة هي التي تثير لدى القارئ معلوماته وخبراته السّابقة.[1]

وهكذا يبدو التّناص حوار بين النّص وكاتبه، وما يحمله هذا الكاتب من خبرة مسبقة، كما يعتبر أيضا حوار بين النّص والقارئ، وما عليه من معلومات سابقة، وهذا هو الذي أطلقت عليه (كريستيفا تناصا). لكن يبدو أنّ هناك إرهاصات سبقت باحثين إلى الالتفات إلى تداخل النّصوص التي ذكرتها (نهلة فيصل).

فهذا (سوسير) في دراسة له سنة (1909م) يقول: <<إنّ سطح النّص مكوكب تنبيه، وتحرّكه نصوص أخرى، حتى لو كانت مجرد كلمة [2]، وفي نفس الفترة كتب (لنسون) يقول:<ثلاثة أرباع المبدع مكوّن من غير ذاته> [3]، وفي نفس الفترة كتب(إليون)(1888-1965م) في مقال له تحت عنوان(التقاليد والعبقرية الفردية) في عام(1917) لهيمنة الموروث على المؤلف شيئا من هذه الفكرة. ومن هذا المنطلق يصبح النّص المتناص منفتح، كونه نصّ تتولّد على منشئه أثناء كتابته له مجموع

---

[1]ــ أنظر: محمد عزّام، النص الغائب، ص36.

[2]ــ انظر: محمّد عزّام، النّص الغائب ، ص36+37.

[3]ــ انظر: منير سلطان،التّضمين والتّناص (وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجا)ص 48.

كتابات سابقة أو معاصرة له [1]، غير أنّنا حين عدنا إلى (قريماس) لننظر ماذا قال عن هذا المفهوم، ألفيناه يزعم أنّ منشئه الأوّل كان ميخائيل باختين لا جوليا كريستيفا، وذلك حين يقول:<<لقد أثار أهمّية كبري في الغرب(مفهوم التّناص) منذ أن جاء به السّمائي الرّوسي باختين، وذلك بفعل أنّ الإجراءات التي يتضمّنها هذا المفهوم يمكن أن تكون قادرة على التّبادل من الوجهة المنهجية مع نظرية المؤثّرات التي أسّست

عليها بوجه عام بحوث الأدب المقارن. [2]وقد تناول "قريماس" مفهوم التّناص على أساس أنّه من مفاهيم السّيميائية، وذلك انطلاقا من تمثّل جوليا كريستيفا له، لكنّه لم يضف شيئا يذكر، ما عدا الزّعم السّابق بأنّ باختين هو الذي أنشأ هذا المصطلح. [3] والحقّ أنّ "بارط" لا يكاد يزيد شيئا عن تكرار ما كانت جوليا كريستيفا قالته في بعض ما عرضنا له من كلامها، ولذلك نجد" بارط" يصطنع كثيرا من مصطلحاتها في مقالته المشار إليها مثل الإنتاجية وإعادة التّوزيع (redistribution) والسّابق (auterieur) والاستبدال(permetation). وكذلك يرى- والحقيقة جوليا كريستيفا ترى أنّ التّناص هو إعادة توزيع اللّغة داخل الكتابة، فالتّقويض، والتطنيب، والنّماذج الإيقاعية، ومتفرّقات العبارات القائمة في المجتمع كلّها مظاهر من التّناص، أي مغذّيات للنّص حين يكتب. [4]

---

[1]ــ انظر:محمّد عزّام، النّص الغائب، ص27.

[2]ــ انظر:عبد الملك مرتاض، نظرية النّص الأدبي، ص273.

[3]ــ المرجع نفسه، ص286.

[4]ــ انظر: عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 282.

ما سبق ذكره يبقى مجرّد إرهاصات، لكنّ الإرهاصات شيء والنّظرية شيء آخر، وهذا ما فعله باختين حيث يظلّ المؤسّس الأوّل لفكرة التّناص ومنه انتقلت أفكاره إلى كريستيفا التي درست أعماله بعمق، وقدّمت أطروحة دكتوراه تناولت فيها المفاهيم النّظرية الأساسية التي أنتجها خاصة في كتابه(الماركسية وفلسفة اللّغة)، واستنبطت هذا المفهوم(التّناص)، الذي قدّمته في محاضرة لها بعنوان <<الكلمة والحوار والرّواية>> في ندوة بارط العلمية سنة 1966م، واستخدمته في بحوث عديدة عامي 1966و1967م.[1] إذن فجوليا كريستيفا هي أوّل من طرح هذا المفهوم وأعطاه تسميته النّهائية(التّناص)، غير أنّه ورد قبله لدى باختين، حيث تمكّنت من تحويل مفهوم الحوارية إلى نظرية نقدية هي نظرية "التناصية". فهي ترى أنّ النّص يتشكّل من قطعة موازيك من الشّواهد، وأنّه امتداد لنصّ آخر أو تحويل عنه، فقد حدّدت إجراءات مفهوم التّناص ودعت إليه، وعرّفته، لكنّه لم يكن التّعريف الأخير فقالت: <<النّص جهاز لساني يعيد توزيع نظام اللّغة واضعا الحديث التّواصلي، نقصد المعلومات المباشرة في علاقته مع ملفوظات مختلفة، سابقة أو متزامنة.[2]

والتّناص توالد من نصوص أخرى سابقة أو معاصرة، والنّص ما هو إلاّ خلاصة للكثير من النّصوص. فقد عنيت به البنيوية الفرنسية وما تبعتها من اتّجاهات سيميائية، وتفكيكية في كتابات "بارط"،"كريستيفا" و"جيرارجنيت"و"تودروف" وغيرهم من روّاد الحداثة النّقدية. وقد انتقل بعدها مصطلح التّناص إلى أمريكا مع بدايات

---

[1] ــ انظر:سلمان كاصد،عالم النّص(بنيوية في الأساليب السّردية)،دار الكندي للنّشر والتّوزيع ص 245.

[2] ــ انظر:حسين جمعة، المسار في النّقد الأدبي ،ص 138 .

السّبعينات فصار محلّ اهتمام الباحثين، فقد تناولته الأقلام، وتوسّعت فيه كثيرا، ففي عام 1976م أصدرت مجلّة (بويطيقا) الفرنسية عددا خاصّا عن التّناص تحت إشراف"لوران جيني" الذي اقترح إعادة تعريف التّناص بقوله:<<إنّ التّفاعل النّصي عمل تحويل، وتشرّب لعدّة نصوص يقوم به نصّ مركزي، يحتفظ بنصّ الصّدارة في المعنى>>[1]، ومركز الصّدارة في المعنى هو ذلك المعنى الخاص بالنّص، فهو يعتبر التّناص بمثابة خاصّية للنّص. وفي عام 1979م أقيمت في جامعة كولومبيا ندوة

عالمية خاصّة عن التّناص تحت إشرافً <<ميشال ريغاتير>> ونشرت أعمالها في عام 1981م في مجلّة الأدب.[2] ومما تجدر الإشارة إليه أن كريستيفا نفسها قد تخلّت عن مصطلح التّناص في عام 1985م، وآثرت عليه مصطلحا آخر من التنقّلية أو المناقلة، وذلك حتىّ تنقذه من الابتذال الذي لحقه، أي استخدامه في نقد مصادر نص معيّن. وبهذا فانّ كريستيفا أعنت نفسها إعناتا شاقّا من أجل سلّ مفهوم التّناص.[3] وهكذا ظهر مفهوم التّناص كمصطلح نقدي جديد تأسّس على يدي كريستيفا، لتكون صاحبة التّوضيح المنهجي الأوّل، وتحتلّ موضع الصّدارة، حيث بدأ التّناص بريئا وأصبح ذا دور مؤثّر في مجال الدّراسات النّقدية المعاصرة، وبخاصّة بعد ذيوعه وانتشاره في المرحلة الأخيرة، حيث أصبح بمثابة ظاهرة نقدية جديرة بالاهتمام والدّراسة، شاعت في الأدب الغربيّ، وانتقلت بعدها إلى الأدب.

---

[1]ــ انظر: منير سلطان، التضمين والتناص،ص 57.

[2]ــ المرجع نفسه ص 57.

[3]ــ انظر: عبد المالك مرتاض، نظرية النصص 288.

العربيّ، وجاءت بعدها تطبيقات التّناصية ووجدت أهلا لها في الحقل النّقدي المعاصر لتفسح بذلك المجال أمام القارئ في تفهّم النّص الإبداعي، بل أكثر أصبح يشمل الثّقافة و كلّ مظاهر الحضارة الإنسانية. [1]

وفي رأينا هذا التّناص في مفهومه تناقضا كبيرا فهو من جهة كأنّه من قبيل المجتمع، لأنّه يحال على نصوص أخرى مختلفة المصادر والثّقافات ومن هذا المفهوم يحمل مفهوم النّص المفتوح، لكنّه من وجهة أخرى لا يحمل أو لا يعني في نفسه شيئا غير التّفاعل مع نصوص أخرى فهي مجردة

2ــ مفهوم التّناص: ماهيته (INTERTEXTUALITE):

إن مفهوم التّناص يصعب تحديده، فهو كباقي المفهومات يخضع للمنطق الفكري لكل محدد له من النقّاد والدّارسين والذين أجمعوا على تغييب صاحب النّص والاحتفال بالنّص ولا شيء غير النّص.

وأغلب هؤلاء انطلقوا من أنّ التّناص هو حوار النّصوص فيما بينها .

2ــ1ــ التّناص لغة :

جاء في لسان العرب " لابن منظور "

أــ تناصيني : أي تنازعني والتباريني والنصّي : عظم العنق ويقال هذه الفلاة أرض كذا ونواصيها أي نتصل بها.

---

[1]ــ انظر: منير سلطان، التضمين والتناص، ص 57.

ب ــ تناص: تناصا القوم ازدحموا؛

تناصت الأغصان : تقربت حتى يعلق بعضهما ببعض عند هبوب الرياح .

ج ــ تناص: تناصّ القوم ازدحموا تناصا الرّجلان : تسابقا في البروز ورفعة المقام.

تناصت بلادهم كان بعضها متّصلا ببعض. [1]

2ــ2ــ المقاربة بين المفاهيم :

من خلال تعريفنا للتّناص لغة يتّضح لنا أنّ المفاهيم الثّلاثة تشترك فيما بينهما باعتبار أن النصوص تتّصل وتتداخل مع بعضها البعض، فالنّصوص الأدبية سواء كانت نثرية أم شعرية لا تنشأ من العدم فما من نص إلا وهو مسبوق بنصوص أخرى فالنصوص ليست منعزلة أو منحنية عن غيرها من النّصوص.

2ــ3ــ التّناص اصطلاحا:

يطلق مصطلح التّناص على التّداخل النّصي، فالنّص في حالة صيرورة يتقاطع مع نصوص أخرى سابقة عليه لا يحصى عددها والتي يمثّلها إراديّا أو لا إراديّا فمن هنا ينبثق مفهوم التّناص.

والتّناص مصطلح سيميولوجي حديث وهو نتاج توجّه فكري جاء استجابة لحاجات ثقافية وهو أخذ وإمتصاص ثم تحويل وإنتاج لنصّ جديد يتشكّل من فضاء اللّغة لكنّه

---

[1] ــ انظر ابن منظور ،لسان العرب، دار صادر، ط 1 المجلد العاشر 1955 ص118 .

يتجاوزها فالنّص ثمرة القراءات السّابقة وعصاراتها ومن هنا يبرز تداخل النّصوص بأشكال مختلفة. فالنّصوص تتقاطع مع نصوص أخرى عن طريق التّطابق الكلّي أو الجزئي.

3ــ أنواع التّناص:

المؤكّد أنّ الكاتب أو الشّاعر ليس سوى معيد لإنتاج سابق لكن في حدود من الحرّية سواء كان ذلك الإنتاج يخصّه هو نفسه أو كان لغيره، فهو بمثابة إعادة كتابه له من خلال نموذج فكري وجمالي معيّن وذلك وفق كفاءات فنّية ومميّزة للكاتب أو الشّاعر.

وغدا تفاعلا خصبا بين النّصوص أي تناصا. هذا الأخير لا ينحصر في نوع واحد بل هو عدّة أنواع.

تميّز " جوليا كريستيفا " بين نوعين من التّناص هما:

1ــ التّناص المضموني؛

2ــ التّناص الشكّلي؛

فالتّناص الأوّل:(المضموني): يتمثّل في توظيف الكاتب لأفكار أو معلومات وردت قبله في كتاب معيّن، واستغلالهما في الّرواية مثلا وذلك بحسب السيّاقات التي تقتضي ذلك التّوظيف، وتلك التّوظيفات تأخذ أشكالا مختلفة قد تكون مقالة أو حكمة أو غير ذلك، وتكون شفهية أو كتابية.

وتؤكّد " جوليا كريستيفا " على العلاقات بين النّص الرّوائي والمدينة باعتبارها مؤسّسة اجتماعية وعمرانية تمتاز بحركة دؤوب، وأنشطة حيويّة متعدّدة. كلّ ذلك ينعكس داخل الرّواية بمستوياتها المختلفة سواء كان على مستوى المضمون الفكري أو المحتوى المعرفي أو حتّى على مستوى التّقنيات التّعبيرية والتّصوّرية.

أمّا التّناص الثّاني:(الشّكلي): فهو توظيف الكاتب بعض الألفاظ أو الدّلالات المعجمية أو العبارات أو التّراكيب، وهي بمثابة تقاليد شكلية ورثها هذا الكاتب من كتّاب لعصور سابقة تنتقل إلى كتابته من خلال رصيده الثّقافي الذي يصدر عنه خلال ممارسته لعمليّة الكتابة. [1]

والملاحظ أنّ " كريستيفا " قد صنّفت التّناص في هذين النّوعين السّابقين مع الإشارة إلى أنّها حصرتها في لون أدبي معيّن وهو الرّواية. مع أنّ التّناص كما هو معلوم أوسع من ذلك بكثير فهو يشمل جلّ النّصوص الأدبية أيّا كان نوعها وهذا طبيعي ما دامت " جوليا كريستيفا " قد درست التّناص في الرّواية. [2]

وعن التّناص المضموني والتناص الشّكلي يرى " محمد عزّام " أنّه يكون في كليهما رغم أنّه من الوهلة الأولى يظهر و كأنّه يكون في المضمون كون الشّاعر يعيد في المضمون إنتاج ما سبقه وما عاصره حتّى نصوص مكتوبة أو غير مكتوبة، لكن لا مضمون خارج الشّكل، ويبقى الشّكل هو المتحكّم في المتناص. [3]

---

[1]ــ انظر: سلمان كاصد، عالم النّص، ص 246.

[2]ــ سلمان كاصد، عالم النّص، ص 246 .

[3]ــ انظر: محمّد عزام، النص الغائب، ص 30 .

نفس التّساؤل ونفس الرّأي نجده عند "محمد مفتاح " هذا الأخير تساءل : أيكون التّناص في الشّكل أم في المضمون ؟ أم يكون في كليهما معا؟

وقال أنّه أوّل ما يظهر لنا في بادئ الأمر أنّه يكون في المضمون فالشّاعر مثلا عندما يعيد إنتاج ما سبقه و ما عاصره فهو يختار منها صورة معيّنة أو موقفا دراميا أو تعبير ذا قوّة مميّزة ،و لكن كما نعلم جميعا لا مضمون خارج الشّكل، بل إنّ الّشكل هو الموجّه إلى التّناص، وهو الذي يسهّل على المتلقّي تجديد النّوع الأدبي وإدراك التّناص في النّصوص الأدبية، وبالتّالي فهو العمل الأدبي. [1]

وهذا ما يظهر لنا بالفعل فلا انفصال بين الشّكل والمضمون، فمثلا أثناء البحث عن التّناص في عمل أدبيّ معّين يجد الملتقّي نفسه غير قادر على تمييز الكل عن المضمون خصوصا إذا كان ذا مهارة فنّية عالية في توظيفه للتّناص خلال إدراجه لفكرة معيّنة في نصّه الأدبي. [2]

إلاّ أنّ التّناص قد يأخذ بعدين جديدين هما:

1- الّتناص الداخلي؛

2-الّتناص الخارجي؛

---

[1]ــ انظر:محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص) ص: 129-130.

[2]ــ المرجع نفسه، ص 131.

فالتّناص الأوّل (الدّاخلي): فهو حوار يتجلّى في توالد النّص وتناسله، وتناقش فيه الكلمات المفاتيح أو المحاو،ر والجمل والمنطلقات، والأهداف، والحوارات المباشرة وغير المباشرة. فهو إعادة إنتاج سابق في حدود الحّرية. [1]

وهذا يعني أنّه امتصاص النّصوص الذّاتية للمؤلّف ذاته، فالكاتب يمتصّ آثاره السّابقة ويجاورها وربما يتجاوزها، وكلّ نصّ من نصوصه يفسّر بعضه بعضا واللاّحق يعيد كتابة السّابق بطريقة جديدة. هنا يمارس عمليّة تفكيك نصّه ثم إعادة تركيبه من جديد، فيتمّ بذلك التّفاعل بين نصوص المنشئ ذاته لغة، وأسلوبا، ونوعا سواء أكانت قديمة أم جديدة. [2]

أمّا التّناص الثّاني(الخارجي): فيعني بامتصاص المؤلّف لنصوص أخرى تنتمي إلى خريطة الثّقافة الإنسانية، هو إذن بمثابة حوار بين نصّ ونصوص أخرى سابقة له تنتمي إلى مصادر متعدّدة وذات وظائف ومستويات مختلفة . [3]، فالمبدع أمام إرث ثقافي من كلّ مكان وفي كلّ زمان وعليه أن يتكّيف مع هذا الإرث منتحلا منه ما يحتاج إليه مكوّنا بذلك صورا منه لكنّها مغايرة له.

إلاّ أن النّاقد" محمد مفتاح " في كتابه (تحليل الخطاب الشّعري: إستراتيجية التّناص) يرى أنّه من المبتذل أن يقال عن الشّاعر أنّه يمتصّ نصوص غيره أو يحاورها أو يتجاوزها بحسب المقام والمقال، لذلك فهو يرى بوجوب موضعة نصّه

---

[1]ــ انظر: محمّد عزّام، النص الغائب،ص 30.

[2]ــ المرجع نفسه،ص 31.

[3]ــ المرجع نفسه، ص30.

أو نصوصه كلّيا في خريطة الثّقافة التي ينتمي إليها، وزمانيا في حيّز تاريخي معيّن.[1]

وقد حاولت "سيزا قاسم " أن تقسّم التّناص إلى أنواع مختلفة منها هذين النّوعين: الدّاخلي والخارجي. وقالت بأنّ الأوّل (الخارجي) يرجع إلى العلاقة التي تربط النّص المفرد وغيره من خلال حضورها في النّص، وانتهاء باشتمال التّأثير الضّمني والعلائقي، أمّا التّناص الثّاني (الدّاخلي) فهو يعني بارتباط الأجزاء المخلّفة للنّص ببعضها الآخر.[2] ليتوسّع بذلك نطاق التّناص، فهو يتعلّق بأيّ نصّ أدبي وفي نفس الوقت يفسح المجال لاقامة علاقة بين النّص ونفسه. فالتّناص الدّاخلي إذن ليس سوى تناصا ذاتيّا يقوم بين الكاتب وثقافته الخاصّة، وقدرته على استثمار وتوظيف نصّ سابق في خلق وإبداع نصّ جديد لا من العدم، ولكن من وجود سابق.<< فالتّناص الذّاتي في عرف نظرية التّناص طريقة نقدية راقية>>. [3]

إنّ التّناص الخارجي هو تناص غيري يقوم بين ثقافة الكاتب الخاصة، والثّقافة الإنسانية عموما، فهو غير منفصل حضاريا عن حبسه العالمي.

ونجد " عبد الملك مرتاض" قد أدمج الاتّجاهين معا قائلا: إذن فلا غير ولا ذات، ولا ذات ولا غير، إنّما هناك امتزاج ختمي بين الذّاتية والغيرية. [4]

---

[1]ــ محمد مفتاح (تحليل الخطاب المعرفي) استراتيجية التناص.

[2]ــ حسين جمعة، المسار في النقد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم و التناص)ص 154.

[3]ــ المصدر نفسه،ص 155.

[4]ــ انظر: سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائي(النّص والسّياق) المركز الثّقافي العربي ط 2، بيروت 2001 ص95.

وعن هذين النّوعين من التّناص يري الدّكتور" حسين جمعة" أنّ الاتّجاه الدّاخلي يمثّله (التّناص الذّاتي)، لأنّ التّفاعل يتمّ مع نصوص المنشئ ذاته لغة وأسلوبا ونوعا، سواء كانت هذه النّصوص قديمة أم جديدة فهو يرى أنّ المنشئ يحسّ أحيانا أنّ نصّه مازال ظلا لنصوص سابقة أو أنّه يتّصف بالأحادية في الدّلالة واللّغة ممّا يجعله لا يتكافأ مع نصّه الموجود ويمارس عليه عملية الانزياح والتّعبير. لتنتهي بذلك التّجربة النّصية الإبداعية إلى شكل راق. وخلص في النّهاية إلى أنّه في التّناص الدّاخلي تصبح مرحلة ما قبل النّص مغايرة ومختلفة عنها في الاتّجاه الخارجي ولكنّهما نابعين من وعي كامل عند المنتج. [1]

نفهم ممّا سبق أنّ المنشئ في هذا النّوع من التّناص (الذّاتي) يلغي نصوص الآخرين، ويدخل في عملية تناص تنطلق من نصوصه الخاصّة فهو بذلك منشئ ومتلق في آن واحد، فهذا النوع من التّناص نجده يتناص بطريقة غير مباشرة مع نصوص أخرى مادامت النصوص الخاصة به قد مارست عملية التّناص من قبل، وأشار "سلمان كاصد" في كتابه (عالم النص) إلى أن هناك من النقاد من يرى بأن هذين البعدين للتّناص (الداخلي والخارجي) يتمان وفقا لحالتي الوعي واللاوعي، الأول هو المتحكم بأنماط الإعارة والثقل، التضمين والاقتباس. أما الثاني فهو التدخل بين النصوص في لحظة الحمل بنص يكون هذا التداخل ذاتيا تناصا داخليا أو خارجيا غيريا ينتج تناصا خارجيا، وهناك من النقاد أيضا من يقتصر التّناص بنوعيه الداخلي والخارجي على اللاوعي مستبعدين أنماط الوعي من مفهوم التّناص

---

[1] ــ حسين جمعة المسار في النقد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتّناص) ص 154.

أصلا، بينما نجد مجموعة أخرى من الباحثين يرون في التّناص (تضمينا) حيث يعتبرونه المفهوم الواسع له، متمثلا في مجموعة من العلاقات التي تربط نص معين بمجموعة من النصوص الأخرى تتميز هذه العلاقات سمات متعددة ومغايرة. [1]

من خلال الآراء الثلاثة السابقة لاحظنا أن هناك حتى من النقاد من يرى هذين البعدين للتناص يتمان وفقا لحالتي الوعي واللاوعي فهدا أمر غير معقول بالنسبة إلينا فرغم أن التّناص قد يكون بغير وعي كامل بالنصوص السابقة، لكن ليس معناه كل إنتاج كان عن غير وعي فعلينا أن لا نهمل أبدا الإشارات التي يوظفها الكاتب في نصه عن قصد منه، ووعي كامل عند إنتاجه للنص، أما فيما يحص الرأي الثالث الذي يرى أصحابه أن التّناص ليس سوى تضمينا فنحن نرى أن مصطلحا بلاغيا واحدا لا يمكن أن يقابل به نظرية بكاملها. [2]

وعن هذين النوعين من التناص، فان الناقد سعيد يقطين قد تحدث عنهما وأشار إليهما مضيفا لهما نوع آخر هو (التّناص الذاتي)، هذا الأخير صنفه وحده ولم يدمجه مع التّناص الخارجي، بحيث يرى أن التّاص الذاتي ممثل في أخد الكاتب نصوصا من نفسه وأن لا وجود لنص يخلق من هذه الظاهرة، والتّناص الذاتي بالنسبة إليه يتعلق أساسا بثقافة المبدع أو بالخلفية التي يستقي منها أفكاره، تتكرر عادة في الأسلوب واللّغة في حين أن الموضوع قد يصاغ ويعاد بطريقة أخرى أو لا يعاد.

---

[1] ــ انظر سليمان كاصد، عالم النص، ص 246.

[2] ــ انظر سليمان كاصد، عالم النص، ص 247.

أما التّناص الداخلي فهو اشتغال النص السابق في النص اللاحق، هذا الاشتغال على مستوى الدّلالة أو على مستوى البنية، وهو يساهم في تكاثر المعاني والدلالات التي يزخر بها النص الحاضر، إذ يضيف دلالته للنص الأصلي وهكذا فان النص السابق لا يموت، إنما ينمو ويتطور ضمن النص اللاحق، ووفقا لهدا كله يمارس إنتاجية، في حين أن التّناص الخارجي يتجلى في البنية الكلية للنص حيث تؤخذ كل النصوص وتدرس وما يكون منسجما مع المبدع يبقى كما هو ويستوعب، في حين يتغير الباقي عن طريق التحويل أو المعارضة. [1]

إذن فالتّناص الذاتي هو بمثابة إتمام نصوص سابقة، في حين أن التّناص الداخلي يخلق نصا جديدا يزخر بدلالات مختلفة وهو بالتالي يساعد في إنتاجية النص ذاته أو نصوص أخرى، يجرنا الحديث عن هذين النوعين من التّناص إلى الإشارة إلى صعوبة الإمساك بالتّناص الخارجي لنص أدبي معين خصوصا إذا كان الكاتب حاذقا لكن تبقى غير بعيدة عن القارئ المتمكن والطلع الذي بإمكانه أن يعيد النص إلى مصادره الأصلية.

بينما نجد من الباحثين من يقسم التّناص إلى:

1_تناص مباشر؛

2_تناص غير مباشر؛

---

[1]ـــ انظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي،ص 123 وما بعدها.

فيما يخص التّناص الأول (المباشر): يمثله بأدق صورة التقليد والتضمين. فالمقلد هو أبدا تابع بالقياس إلى نموذج معين، والتضمين والاقتباس يظل حرفيا، وهو بذلك لا يسمح بإحداث التفاعل بين النصين، لذلك يراه بعض الباحثين ليس تناصا. إذ : "إن إحالة النصوص إلى نصوص أخرى أدبية وغير أدبية يجب أن تفهم في إطار التّناص بمدلوله العلمي الذي يتطلب منا أن نفهم العلاقة بين هده النصوص.فهو يستبعد القضايا التي يمكن معالجتها تحت عناوين مثلا: الاقتباس والسرقة. [1]، ويبدو أن المؤلف لا يميل إلى هذا النوع من التّناص(المباشر)، فالشاعر العربي لا يحيل إلى التضمين لأن فيه نوع من الاعتراف بشاعرية الأخر.

أما التّناص الثاني (غير المباشر): تذوب فيه عبارات الآخرين في شكل عبارات الكاتب حيث يأخذ بها لصالحه من خلال تعديلاته وإضافاته الخاصة، ويرى فيه أغلب الكتاب صورة خفيفة للّتناص، يقول "نور ثروب فراي": "لا يمكن إنتاج الشعر إلا انطلاقا من قصائد أخرى، ولا إنتاج الرّوايات إلا انطلاقا من روايات أخرى، فكل نصيّة هي تداخل نصي".[2]، وقد صنّف "حسين جمعة" أشكال التّناص في نمطين هما: التّناص المباشر والتّناص غير المباشر، وقد لاحظ بأن الكثير من المصطلحات التّناصية تعود في أصولها إلى البلاغة العربية وان اتجهت اتجاها جديدا، فالتّناص المباشر يشمل السرقة، الاقتباس والتضمين والأخذ والمعارضة والاستشهاد....وغيرها من المصطلحات في البلاغة العربية.

---

[1] ــ سليمان كاصد، عالم النص، ص 248.

[2] ــ سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص 123 وما بعدها.

أمّا التّناص غير المباشر فيشمل المجاز والتلميح والكناية والرمز، وقد يدخل فيه التضمين.[1] وتبقى الدراسة العلمية التحليلية وحدها التي بإمكانها اكتشاف السابق في الأحق ما دام هناك نصا مركزيا تتجلى وتظهر فيه نصوص أخرى سابقة، وما دام كيانا غير منغلق على ذاته.

إذا كان النّقد المعاصر يقول بعدم استقلالية النّص الأدبي فهو بالمقابل يقول بعدم ممارسته الشعبية بالمعنى التقليدي لها، فرغم أن للنص الأدبي حالات تربطه بالنصوص السابقة له فليس بالضرورة أن يسمى إلى كشف النصوص الأصلية. [2]

---

[1]ــ انظر: حسين جمعة، المسار في النقد الأدبي(دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتّناص).ص 158،159

[2]ــ انظر: حسين جمعة، المسار في النقد الأدبي(دراسة في نقد النقد للأدب القديم و التناص).ص 158،159.

الفصل الثّاني

التّناص عند النّقاد الغربيين:

1) ميخائيل باختين.
2) جوليا كريستيفا.
3) رولان بارط.
4) قريماس.

الفصل الثني: التّناص عند النقاد الغربيين

سنتابع في هذا الفصل نظرية التناص التي أستعمل مصطلح مفهومها لأول مرة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف في النقد الفرنسي المعاصر أساسا، حيث سنحاول الإلمام بأهم الكتابات لأهم المنظرين نقرأهم بما استطعنا من التأني والتقصي وننظر في آراءهم ونسعى إلى معرفة ما انتهوا إليه في هذه المسألة المريجة، وسنحاول أثناء ذلك النقاش والاستنتاج، أما الأمر الآخر يتمثل في تعدد التعريفات والمفاهيم التي قدمت لهذا المصطلح في مصادره الأولى والناجمة عن الاختلاف في طبيعة الفهم الذي يمتلكه أصحاب هذه النظرية عن النص، الأمر الذي يجعل من هذه القضية مرتبطة بالحقل المعرفي الذي يتشكل فيه هذا المصطلح(التناص) والذي يعد ظاهرة أسلوبية أفرزها الفكر الغربي في النقد لدراسة وتحليل النص الأدبي. ولعل أول من اصطنع هذا المصطلح وبلور مفهومه في النقد الغربي، فتحدث عنه، وأرسى مبادئ من أسسه وتوسع فيه حتى ا ختصه بحيز واسع من تفكيره، أن تكون البلغارية جوليا كريستيفا وعديد النقاد الغربيين أمثال: قريماس، رولان بارت وميخائيل باختين، والذين أجمعوا على تغييب صاحب النص والاحتفال بالنص ولا شيء غيره.

الفصل الثاني: التّناص عند النقاد الغربيين

1) ميخائيل باختين:

تعود الأصول الأولى إلى الناقد الروسي باختين، وقد عد أول من صاغ نظرية تعدد القيم النصية وهو من الشكلانيّين الروس الذين كانوا السباقين إلى مصطلح التناص والذي يرد في ملمح المفارقة بين النص المعارض والنّص المعارض،فعلى حسبهم:"ليس النّص المعارض إعادة إبداع أو كتابة على كتابة مماثلة ،فلكلّ نصّ خصائصه القارة فيه".[1] ، فكلا النصّين بينهما مفارق لا تسمح أن يحلّ أحدهما محلّ الآخر،فهما ليسا مجرّد نصّين متماثلين أو متبادلين،فلكلّ خصوصيته وسماته وفراداته وشيّاته.[2]

لقد أكّد تودروف على أنّ باختين هو أوّل من صاغ نظرية بأتمّ معنى الكلمة في تعدّد القيم النّصية،إذ إنّ مفهوم الخطاب أو النّص المتعدّد القيم النّفسية المتداخلة هو النّص الذي يستحضر فيه بشكل عفوي نصوصا أخرى تضيف إليه دلالات جديدة وقيما نصّية،متعدّدة ومتنوّعة.وهذه الفكرة التى جاء بها باختين ما هي إلاّ فكرة للتّناص، وكانت بمثابة إشارة منه، فالنص الأدبي يتشكل دوما من نصوص سابقة عليه، والنص ذاكرة تختزل أعمالا إبداعية كان قد تحاور معها في فترات مختلفة، وبالتالي يصعب فهم هذا النص أو ذاك دون التعرف على منابعه، لهذا فان تأويل أي نص يقتضي العودة إلى ذاكرته. وبناءا على هذا نفهم بأن باختين يدعو إلى العودة إلى المنابع من أجل فهم النص حيث يقول: ولهذا السبب بالذات فان الصنف الأدبي

---

[1] ــ د.رجاء عيد، القول الشعري، منشاة المعارف، د ط، د ت الإسكندرية ص 224.

[2] ــ المرجع نفسه، ص 224.

قادر على تأمين وحدة استمرارية هذا التطور، لهذا السبب يقتضي منا الصعود إلى المنابع نفسها من أجل أن نفهم الصنف الأدبي فهما صحيحا. [1]، ولقد كانت جهود باختين نقطة انطلاقه لكثير من الاتجاهات النقدية تتبنى أفكاره وأطروحاته، كما أثارت موجة من التساؤلات حول إشكالية الملفوظة (ENONCIA) ففي الكتابة يحدث التفاعل بواسطة الأخذ أو الاقتباس أو التحويل، ويكون ذلك إما إراديا أو غير إرادي، وإمّا ضمنيا أومكشوفا، وبالتالي يتحقق التناص. [2]، ولقد أسّس باختين للتّناص نظريات في كتابه شعرية دستوفسكي ودعاه بالحواري (DIALOGISME).

وعلى هذا يعد الحوار بين النصوص ثمرة من ثمرات تفاعل الأجناس والكلمات، فكل جنس آدمي بإمكانه التحاور مع مثيله، يأخذ عنها وتأخذ عنه دون افتقاره أي لأخذ أصالته وهويته، وبهذا الأسلوب تتطوّر الأجناس الأدبية و تخلد بل تتجدّد. [3]

لقد استخدم باختين مقولة"تداخل السرقات والتّداخل السّميائي [4]، وكما أسلفنا الذّكر عن الحوارية الباختينية، والذي وسّع الحوار في الرّواية في سعيه إلى البحث عن مكوّنات الرّواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع الأجناس التّعبيرية الأدبية منها كالقصص والقصائد والمقاطع الكوميدية، وغير الأدبية كالدّراسات العلمية أو الدّينية

---

[1] ــ نور الدين صدّار، السرقات الأدبية في ضوء التناص، ص115.

[2] ــ نور الدين صدّار، السرقات الأدبية في ضوء التناص ص155.

[3] ــ المرجع نفسه ص156.

[4] ــ ــ د علي جعفر العلاق، الشعر و التلقي، دار الشروق للنشر، الطبعة الأولى، د ت ص 194.

وغيرها، ولذلك فهو ينتهي إلى أنّ الرّواية بوصفها نوعا أدبيا مازال قيد التّشكيل،

وغيرها ولذلك فهو ينتهي إلى أنّ الرّواية بوصفها نوعا أدبيا مازال قيد التّشكيل،

وهكذا فقد كانت إرهاصات تكوين التّناص مع الباحث الروسي"ميخائيل باختين".

2) جوليا كريستيفا:

لا يكاد يذكر اسم الناقدة البلغارية"كريستيفا"إلاّ مقترنا بمصطلح التّناص (INTERTEXTUALITÉ)،فقد كانت لها بادرة الفضل في نحته وجعله مصطلحا شائعا ومشعا ملأ النّقد وشغل النّقاد، وكان له أثره الفاعل في تغيير وجهة النّظر النّقدية إزّاء حقيقة النّص الأدبي، وتخليصه من انغلاق المقولات التّقليدية، والولوج به إلى عالم الإمكان المنفتح. [1]، وهذا التّعالق هو قدرة كلّ نصّ وجبلته، وطبيعته المتأصّلة فيه ضرورة لا خيرة فكلّ نصّ في منظور كريستيفا هو <<امتصاص أو تحويل لوفرة من النّصوص الأخرى. >>[2]، ولا يوجد في الحقيقة نصّ كما تذهب كريستييفا، فجلّ النّصوص الأخرى التي يقوم بينهما حوار لا ينتهي، سواء في الحقبة الواحدة أو الحقب المتعاقبة.

ويمكن القول تلخيصا لما سبق أنّ التّناص في منظور "كريستيفا" قوّة تحويلية فاعلة، تتجاوز مجرّد التّقاطع أو التّداخل الظّاهر للنّصوص إلى تشكيل وظيفي حقيقي بدمج النّصوص الممتصّة في نسيج النّص الجديد، ويخضعها لسياقه، ووجهته الخاصّة، أو لفرادته، وبذلك يشكّل النّص بؤرة تبتعث إمكانات التّدليل، وتستدعي القارئ ليبتعث إمكانات التّأويل، وفي هذا مايجلى بوضوح حجم الأثر التّناصي في التّأثيث المنفتح لعالم النّص.

---

[1]ــ جوليا كريستيفا،علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبتال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 1991،

[2]ــ المرجع نفسه ص78.

3) رولان بارط:

اقترح "رولان بارط" تعريفا للتّناص فهو نسيج وتشكيل جديد من الاقتباسات يخرجها الكاتب في هذه الذّات(أي النّص) ويشير إلى ذالك في كتابه "لذة النص"، بأن التناص هو استحالة العيش خارج النص اللانهائي، فالنّص الجديد هو إنتاج لنصوص أو أشلاء نصوص معروفة وغير معروفة سابقة عليه،أو هو خلاصة لما يحصى من النّصوص الكائنة في الذّاكرة، أو القابعة في اللاّوعي الفردي أو الجمعي، وكلّ إشارة في النّص المتناهي نتوجّه ونشير ونومئ إلى نص أو نصوص أخرى، ويكون الصوت القديم"النّص الغائب" مخبوء في الصّوت الجديد، فكلّ نص هو تناص يظهر في عالم مليء بالنّصوص، بطريقة الهدم وإعادة البناء التي يخضع لها النّص نتيجة لقيامه بتوزيع اللّغة، ويمثل النّص لا نهائية اللّغة، وعليه فالنّص أو التّناص هو عمل تحويل وتمثيل عدّة نصوص يقوم بها نصّ مركزي يحتفظ بزيادة المعنى وقيادته، وأنّه يجعل نصوصا عديدة تلتقي في نصّ واحد دون أن تتذمّر، فالتّناص قراءة جديدة للنّص أي صورة تضمّن للنّص وضعا ليس الاستنتاج وإنّما الإنتاجية. [1]

وهكذا نجد توالي الجهود التي فعّلت هذا الحقل عند النّاقد الفرنسي "بارط" بحيث أثرى مصطلح التّناص، وتعدّ دراسته إحدى أبرز علامات تبلوره في هذه الثّقافة الغربية سنة 1973م، كما أنّنا نجده يسمّيه "جيولوجيا الكتابة"، ولعلّنا نتذكّر جملته المشهورة "موت المؤلّف" ومن هذا السّبيل:< هو عدد من النّصوص ممتدّة في

---

[1] ــ رجاء عيد، القول الشعري، ص288.

مخزون ذاكرة مبدعه، ومن ثمّ فهو النّص ليس انعكاسا لخارجه، أو مرآة لقائله، وإنّما فاعلية مخزون التذكّر لنصوص مختلفة هي التّي تشكّل حقل التّناص، ومن ثمّ فالتّناص بلا حدود فأيّ نصّ تتوافر على منشئه كتابات سابقة ومعاصرة وتتوافد عليه أنسقه وبنيات تتزاحم وتتحاشد من نصوص سالفة أو محايثة.> [1]

ورولان بارت في مقولته هذه يصل إلى عملية اجتياح حدود النّص نفسه، وفتحه بصفة دائمة أمام ما أسماه "الكتاب الأكبر" والذي يضع كل ما كتب بالفعل، أي أن النّص يحمل في شفراته آثار من ذلك الكتاب الأكبر، وأنّه جزء من كلّ ما تمّت كتابته حتّى وقت كتابة النّص وعند نقطة الانطلاق. ويتّضح مفهوم التّناص عنده في العناصر التالية:

ــ كلّ عنصر يتشكّل من نصوص مختلفة تداخلت فيه فنّيا ودلاليا أثمرت نصّا جديدا.

ــ النّصوص المتداخلة لا تظهر بنفس المستوى والدّرجة فمنها الظّاهر ومنها الضّمني.

ــ النّص في ضوء نظرية التّناص موسوعة ثقافية تعكس السّالف والحاضر.

ــ النّص هو نسيج جديد من الاستشهادات والاقتباسات السّابقة ولا تتحقّق التّناصية إلا بتواجد النّصوص يقول "بارط":< فالتّناصية قدر كل نصّ مهما كان جنسه،

---

[1] ــ رجاء عيد، القول الشعري، ص 289.

والّتناص مجال عام للصّيغ المجهولة التّي نادرا ما يكون أصلها معلوما، ومتصوّر الّتناص هو الذي يعطي أصوليا نظرية التّناص جانبها الاجتماعي> [1] يرى "بارط" أن هناك علاقة وطيدة "الأنا" والّتناص بل إنّ الأوّل هو نفسه الثّاني ذلك أن القراءات السّابقة تحوّلت إلى ترسّبات ذابت في الأنا المبدع، وحيث الإبداع يقرّب المبدع من النّصوص والترسّبات التي علقت في آناه، ومن هنا يحدث التّفاعل بين النّصوص، ويتحقّق الّتناص. ولقد تعرّض "بارط" بدوره إلى جانب "كريستيفا" إلى المفهوم التمعّني، وعنده أساس التمعّني هو الإلهام ذو المتعة المثيرة، وهو ليس مجرد معنى فحسب وإنّما يقتضي شكلا ليظهره إلى الوجود، ومن هنا تصبح حلقة النّص أو النّص الظّاهر كما تسمّيه "جوليا كريستيفا"[2].

4) قريماس:

أمّا قريماس فإنّه لمّا كان يأمل تهذيب تجلّيات علاقات التّناص ، التّهذيب الذي يكسبها مزيدًا من الّدقة؛ فإنّه قد ذهب خلافًا لما ذُكر آنفًا، إلى أن تضمّن النّصوص العديدة للأبنيةَ الدّلالية أو النّحوية الواحدة المشتركة في نمط أو جنس من أجناس الخطاب لا يمثّل قرينة تناص بينها. إنّ ادعاء نقيض هذا يؤدّي في نظر "قريماس" إلى نفي وجود خطاب اجتماعي أو خطاب سيميائي يتعالى على التواصل بين الأفراد . فإذا ما كنّا لا نتحدث عن تناص عندما يستعمل متخاطبان اللّغة ذاتها بدعوى توسلهما بنظام مشترك، فإنّ استثمار الأبنية المشتركة، يعلن فحسب انتسابَ صنوف

---

[1]ــ رولان بارت، نظرية التناص، ترجمة محمد البقاعي: مجلة العرب والفكل العالمي،ع 3، 1988م، ص96.

[2]ــ رولان بارت، نظرية التناص، ترجمة محمد البقاعي: مجلة العرب والفكل العالمي،ع 3، 1988م، ص97.

من الخطاب مختلفةٍ إلى جنس واحد . ولذلك فإن "قريماس" يؤكّد في حدّ التّناص على ضرورة تحويل النّموذج المشترك . [1]

والحقيقة أن مفهوم التّناص في النّظرية الأدبية قد أثار تحفّظات النّقاد الذين استعملوه وحيطَتهم. فقد نبّهوا إلى ضرورة ميز هذا المفهوم الجديد عن الدّراسة التّقليدية للمصادر والمؤثّرات، بل إنّ تحفظّات "بارط" المطردة الصّارمة لَهي بالإنكار أشبه:" إنّ التّناص شرط وجود كلّ نصّ أيًّا كان ، إلّا أنّه لا يُختزل في مجرد مبحث المصادر والمؤثّرات ."(1973:1015) " ليس النّص الرّاشح – نؤكّد ه ذا مرّة أخرى – مجرّد مسبلو تُختبر به المؤثّرات والمصادر والأصول وتُتدّبر في ضوئها أعمال "(1971:1015) وقد أبدى "قريماس" بدوره تحفّظات شبيهة في معرض تنبيهه إلى ما يثير مفهوم التّناص من الأهمّية القصوى . وقد برّر هذا خاصة بكون الإجراءات التّي يقحمها هذا المفهوم تبدو كبدائل منهجية عن نظرية المؤثّرات . وهو يرى ،أنّ ما اتّسم به هذا المفهوم من قلّة الدّقة ، والضّبط قد أخرج المبحث عن دائرته المفهومية وقاد الدّارسين إلى إلباس مبحث المصادر والأصول لبوسًا إصطلاحيًا جديدًا؛ ولا سيما متى تعلّق الأمر بالتّضمين الصّريح المعلن أو التّضمين الخفيّ . ونحن نعلم أنّ "رولان بارط" نفسه قد حدّ د النّص الرّاشح على أنّه " حقل عام لصيغ مجهولة قلّما يتعرّف على أصلها أو تضمينات آلية جرت في غفلة من

[1] ــ النقد والأسلوبية ، الصادر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق 1989، ص 132,

وعي مضمِّنها فهي غير معلنة "(1973). أين يمكن والحال تلك أن ننزل الاختلاف بين المنهجين؟ [1] ، اللّوازم" الڤريماسية"تتعلّق بنقطتين: جلاء علاقة خطاب بنموذج وضرورة التّحويل ،ذلك أنّ التّناص يفترض وجود سيميائة (أو خطاب) مستقلّة يجري داخلها حدثان البناء وإعادة الإنتاج ، و التّحويل لنماذج هي ضمنية على نحو ما. يتعلّق الأمر على الحقيقة إذن بالتعرّف على التّأثير .[2]

[1] ـ www.startimes.com بتاريخ: 2013/05/21 الساعة: 22:35.

[2] ـ www.charbeldagher.com بتاريخ: 2013/05/21 الساعة 22:55.

خـــــاتمة

خاتمة

نخلص في النهاية إلى أنّ التّناص في النّص الأدبي لا يقوم على مجرّد حضور نصوص في نصّ معيّن حضورا شكليا. فمفهوم التّناص مرتبط بالقراءة التي يمارسها المتلقّي على النّص الأدبي، بل النّص الأدبي نفسه ليس في النّهاية سوى قراءة لنصوص أخرى سابقة له.

وهذا البحث لا يعدّ غير نقطة مضيئة وصغيرة جدّا نطلّ من خلالها على هذا الموضوع ونفتح بها المجال لمعاودة النّظر فيه، والتوسّع أكثر.

ويمكن حصر النّتائج المتوصّل إليها في هذا البحث في النّقاط الّتالية:

1. التّناص ليس سوى استلهام في المخزون الثّقافي، يستدعي من خلاله نصّا غائبا سواء كان الاستدعاء عن وعي منه أو عن غير وعي، فيندمج النّص الغائب بالنّص الماثل يشير إليه، ويوظّفه.
2. تبقى نظرية التّناص منهجا نقديا، اهتم به العديد من النّقاد أثار جدلا في النّقد الغربي والعربي على السّواء.
3. للتّناص قيمة ثقافية كبيرة لا يمكن تجاهلها، فهو يكشف عن الخلفية الثّقافية أو الأساس المعرفي بالّنسبة للمبدع أو حتّى بالنّسبة للقارئ.
4. أسفرت جهود الّنقاد الغربيين في التّعريف، والتّمثيل لهذا المصطلح انطلاقا من باختين وكريستيفا وصولا الى بارط وقريماس، فكانت لهم مداخلات أفرزت عدّة استلهامات أعطت للمبدع قيمة فنّية، وفي هذا دلالة على إعجاب المبدع بما سبقه من نصوص.

خاتمة

5. إنّ التّناصَّ يمثّلُ أحدَ جمالياتِ متنِ العواضي، وأحدَ لبناتِه الفنيَّةِ والفكريةِ والبنائيةِ.

6. إن العنونةَ جزءٌ من النّصوصِ، وليسَتْ نصوصاً موازيةً لها. وهي بانفتاحِها على التّراثِ تعطيَ المتلقيَّ صورةً استباقيةً عنِ المتنِ، وتجعلُ القارئَ يتوقّعُ ما سيأتيَ من تراثٍ، وبذلكَ ينشدُّ إلى البحثِ عنْ جمالياتِ هذا التّراثِ، في حركةٍ بندوليةٍ من العنوانِ إلى النّصِ، والعكس، متخذاً كلاً منهما آلةً لتفكيكِ الآخرِ وقراءتِه.

7. ولم تأتِ الإحالةُ إليهِ بشكلٍ سكونيٍّ بل عملَتْ على إعادةِ خلخلةِ المرجعيةِ، وإدماجِها في المتنِ، وإفراغِها من حمولاتِها الدّلاليةِ القارّةِ فيها، وتحميلِها محمولاتٍ دلاليةٍ مغايرةٍ لها... منتزعةٍ من الواقعِ ومتوائمةٍ مع الدّلالةِ الكلّيةِ الّتي يتغيّاها المتنُ

8. أما الإيحاءُ فإنَّهُ يعمدُ إلى خلخلةِ المرجعيةِ وتخريبِ معمارِها وتذويبِهِ حتى يصبحُ جزءاً متخفياً تركيبياً وراءَ النصوصِ، وقد جاءَتْ معظمُ الإيحاءاتِ متعلقةً بانهيارِ حضارةِ سبأٍ والآياتِ الدالةِ عليها.

خاتمة

9. ومن ثمَّ فقد جاءَ تناصُّ المتنِ معَ الشعرِ العربيِّ القديمِ لأنَّهُ يحتوي على تجاربِ إنسانيةٍ وفنيةٍ متعددةٍ، ولم يتناص معه لغرضِ الاستعاضةِ عن الحاضرِ بالماضي، وإنما بهدفِ إضفاءِ الأصالةِ على نصوصهِ. وقد تناصَ معهُ عن طريقِ الاقتباسِ والإحالةِ والإيحاءِ.

نشير في الأخير إلى إمكانية التوسّع في الأفكار التي طرحناها في هذا البحث، فالمجال يبقى مفتوحا للحديث المستفيض في الموضوع، فحقل التّناص واسع، ومغر جدّا في الآن نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. حسين جمعة، المسار في النّقد الأدبي (دراسة في نقد النّقد للأدب القديم والنّتاص).
2. عبد الملك مرتاض، نظرية النّص الأدبي. دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر.
3. محمد عزّام، النّص الغائب.
4. منير سلطان،التّضمين والتّناص (وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجا).
5. سلمان كاصد،عالم النّص(بنيوية في الأساليب السّردية)،دار الكندي للنّشر والتّوزيع.
6. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1 المجلد العاشر 1955 .
7. محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشّعري(إستراتيجية التّناص) .
8. سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائي(النّص والسّياق) المركز الثّقافي العربي ط2، بيروت 2001 .
9. د.رجاء عيد، القول الشّعري، منشأة المعارف، د ط، د ت الإسكندرية.
10. نور الدين صدّار، السّرقات الأدبية في ضوء التّناص .
11. د علي جعفر العلاّق، الشّعر و التلقّي، دار الشّروق للنّشر، الطّبعة الأولى.
12. جوليا كريستيفا،علم النّص، ترجمة فريد الزّاهي، دار تو بقال للنّشر، الدار البيضاء، ط1، 1991.
13. رولان بارت، نظريّة التّناص، ترجمة محمد البقاعي: مجلة العرب والفكر العالمي،ع 3، 1988م.
14. **النّقد والأسلوبية، الصّادر عن اتّحاد الكتاب العرب بدمشق 1989.**

15. ـــ www.startimes.com بتاريخ: 2013/05/21 الساعة: 22:35.

الفهرس

الفهرس

مقدمة .....1.

الفصل الأول : تحديد المفاهيم.

1. نشأة التناص.....3

2. مفهوم التناص.....8

3. انواع التناص.....10

الفصل الثاني:التناص عند النّقاد الغربيين

تمهيد.....18

1. ميخائيل باختين.....19

2. جوليا كريستيفا.....21

3. رولان بارط.....22

4. قريماس.....24

الخاتمة.....26

المراجع.